

تفسير البحر المحيط

@ 357 وهو صبره على الذبح ؛ وبصدق الوعد في قوله : { إِنْ نَّهْ كَانْ صَادِقَ }
الْوَعْدِ { ، لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به . وذكر الطبري أن ابن عباس قال : الذبيح إسماعيل ، ويزعم اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود . ومن أقوى ما يستدل به أن الله تعالى بشر إبراهيم بإسحاق ، وولد إسحاق يعقوب . فلو كان الذبيح إسحاق ، لكان ذلك الإخبار غير مطابق للواقع ، وهو محال في إخبار الله تعالى . وذهبت جماعة إلى أن الذبيح هو إسحاق ، منهم : العباس بن عبد المطلب ، وابن مسعود ، وعلي ، وعطاء ، وعكرمة ، وكعب ، وعبيد بن عمير ، وابن عباس في رواية ، وكان أمر ذبحه بالشأم . وقال عطاء ومقاتل : ببית المقدس ؛ وقيل : بالحجاز ، جاء مع أبيه على البراق . وقال عبيد بن عمير ، وابن عباس في رواية : وكان أمر ذبحه بالشأم ، كان بالمقام . وقال ابن عباس :
والبشارة في قوله : { وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ } ، هي بشارة نبوته . وقالوا : أخبر تعالى عن خليله إبراهيم حين هاجر إلى الشام بأنه استوحيه ولداً ، ثم أتبع تلك البشارة بغلام حليم ، ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ، ويدل عليه كتاب يعقوب إلى يوسف ، عليهما السلام : من يعقوب إسرائيل ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله . ومن جعل الذبيح إسحاق ، جعل هذه البشارة بشارة بنبوته ، كما ذكرنا عن ابن عباس . وقالوا : لا يجوز أن يبشره الله بولادته ونبوته معاً ، لأن الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بأنه سيكون نبياً . ومن جعله إسماعيل ، جعل البشارة بولده إسحاق . وانتصب نبياً على الحال ، وهي حال مقدرة . فإن كان إسحاق هو الذبيح ، وكانت هذه البشارة بولادة إسحاق ، فقد جعل الزمخشري ذلك محل سؤال . فإن قلت : فرق بين هذا وقوله : { فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ } ، وذلك أن المدخول موجود مع وجود الدخول ، والخلود غير موجود معهما ، فقدرت مقدرين للخلود ، فكان مستقيماً . وليس كذلك المبشر به ، فإنه معلوم وقت وجود البشارة ، وعدم المبشر به أوجب عدم حاله ، لأن الحال حلية لا تقوم إلا بالمحلي . وهذا المبشر به الذي هو إسحاق ، حين وجد لم توجد النبوة أيضاً بوجوده ، بل تراخت عنه مدة طويلة ، فكيف يجعل نبياً حالاً مقدرة ؟ والحال صفة للفاعل والمفعول عند وجود الفعل منه أو به . فالخلود ، وإن لم يكن صفتهم عند دخول الجنة ، فتقديرها صفتهم ، لأن المعنى : مقدرين الخلود . وليس كذلك النبوة ، فإنه لا سبيل إلى أن تكون موجودة وقت وجود البشارة بإسحاق لعدم إسحاق . قلت : هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك ، والذي يحل الإشكال أنه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قوله : { وَبَشَّرْنَاهُ } بوجود إسحاق نبياً ، أي بأن يوجد مقدرة نبوته ،

فالعامل في الحال الوجود ، لا فعل البشارة ؛ وبذلك يرجع نظير قوله تعالى : { فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ } ، { مِّنَ الصَّالِحِينَ } ، حال ثانية ، وورودها على سبيل الثناء والتقريط ، لأن كل نبي لا بد أن يكون من الصالحين . انتهى . .

{ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ } : أفصنا عليهما بركات الدين والدنيا ، وبأن أخرجنا أنبياء بني إسرائيل من صلبه . { وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ } : فيه وعيد لليهود ومن كان من ذريتهما لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم) ، ومن ذريتهم محسن وظالم وفيه دليل على أن البرقد يلد الفاضل ، ولا يلحقه من ذلك عيب ولا منقصة . .

{ وَلَقَدْ مَنَّٰنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَمَّصِرُونَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبُونَ * وَعَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * وَتَرَكْنَاهُمَا فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّا نَهْمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَإِنَّا إِبْرَاهِيمَ لَمِنَ الْمُؤْمِرِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونِ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهُ رَبُّكُمْ * الْوَالِينَ * قَالَ * فَكَذَّبُّوهُ فَأَنَّا هُمُ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * وَتَرَكْنَاهُ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّا نَهْمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَإِنَّا لَنُوطِئُ لِّمَنِ الْمُؤْمِرِينَ * إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَاهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا لََّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ * وَإِنَّا لَنَتَمَرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ * وَبِالْبَيِّنَاتِ أَفْلَا تَعْقِلُونَ } . .

{ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ } : تعبد القبط لهم ، ثم خوفهم من جيش فرعون ، ثم البحر بعد ذلك ، والضمير في { وَنَمَّصِرُونَاهُمْ } عائد على موسى وهارون وقومهما ؛ وقيل : عائد على موسى وهارون فقط ، تعطيماً لهما بكناية الجماعة . و { هُمْ } : يجوز أن يكون فصلاً وتوكيداً أو بدلاً . و { الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ } : التوراة ، كما قال تعالى : { إِنَّا أَنزَلْنَاهُ التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ }